مصطلح العقيدة ليس بدعياً

زعموا أن مصطلح (العقيدة) بدعي:

ومعلوم أن المصطلحات لا مشاحة فيها، وأن مصطلح العقيدة مصطلح صحيح أصبح له مفهوم عند العلماء والباحثين قديماً وحديثاً، وليس هنا ما يمنع من إطلاقه في اللغة والشرع، ودعوى أنه بدعة جهل بأصول البدعة وضوابطها.

لأنه من مصطلحات العلوم: كالتفسير، والحديث وعلومهما، والفقه، وأصول الفقه، والأدب... إلخ فإن غالبها مصطلحات استحدثت للدلالة على مضامينها، فهي من باب الوسائل والأساليب الاجتهادية، والتقسيمات العلمية، ولا تدخل في ضابط البدعة، لأن البدعة إنما تكون في الدين لا في الوسائل والمصطلحات، والعبرة بالمضامين لا بالمصطلحات.

ولذلك كان السلف يطلقون على أصول الدين: الإيمان، والإسلام، والدين، والسنة، والأثر، والعقيدة وقد اتفقت الأمة على صحة هذه المصطلحات وليس فيها ما يُشكِل فبعضها شرعي المنشأ، وبعضها اصطلح عليه وليس في الشرع ما ينفيه،

لأنه ليس على قاعدة البدع ومن ذلك مصطلح العقيدة. . والله أعلم.

والعبرة بالمضامين، وعلى أقل الأحوال هو من المختلف فيه، ولو ثبت شرعاً أنه بدعي تركناه!

كما أن مصطح العقيدة كان معروفاً في القرون الفاضلة وبُعيدها، وقد نشأ مواكباً لنشأة العلوم الشرعية الأخرى المستمدة من الكتاب والسنة؛ كالتفسير وعلوم القرآن وعلوم الحديث فقد ورد استعمال هذا الاصطلاح من قبل جماعة من الأئمة الأعلام كأبي ثور وأبي حاتم وأبي زرعة وابن جرير الطبري[1].

(١) راجع: عون المعبود ١٣ / ٤٨ وأصل السنة واعتقاد الدين لابن أبي حاتم ٣٩ وشرح أصول معتقد أهل السنة ٤ / ٨٤٩ وتفسير ابن جرير.

الفرق الضالة امتداد للأمم الهالكة

إن تشبه الفرق الضالة بالأمم الهالكة واتباعها لها هو الحق، فقد ذكر المحققون من أهل السنة وغيرهم، أن كثيراً من الفرق والأهواء والبدع التي ظهرت بين المسلمين، وخرجت عن السنة والجماعة، إنما هي امتداد للفرق والديانات الضالة القديمة التي كانت قبل الإسلام وبعده.

وهذه حقيقة قطعية ذكرها الله تعالى وأخبر عنها الرسول ﷺ، قال الله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [التوبة: ٦٩].

فقد ذكر العلماء أن قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ في بيان أن هذه الأمة ستكون منها طوائف تخوض في الشبهات والبدع كما خاض الأولون من قبلهم من ضُلاَّل الأمم[1]، وقال سبحانه: ﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلاَّ مَن رَّحِمَ

(١) راجع تفسير ابن كثير، وابن جرير، والشوكاني عند تفسير هذه الآية، وراجع اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ١١٤ ـ ١١٨).

﴿رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، فالناجون من الاختلاف هم الذين استثناهم الله تعالى، والأكثرون على الفرقة والخلاف، وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ يوم تبيضّ وجوه أهل السنة والجماعة، وتسودّ وجوه أهل البدعة والفرقة[١].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩] فالله تعالى إنما برأ رسوله ﷺ من أمر لابد حاصل وقد وقع وإلا لكان مما لا فائدة في ذكره . . تعالى الله عن ذلك.

وثبت عن النبي ﷺ أن طوائف من هذه الأمة ستتبع سنن الأمم الضالة السابقة فقال ﷺ: « **لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبرا، وذراعاً ذراعا حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟**»[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير عند تفسير الآية ١٠٦ آل عمران.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب و السنة، باب قوله ﷺ: « لتتبعن سنن من كان قبلكم» برقم (٧٣٢٠). ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن برقم(٢٦٦٩).

وقال ﷺ: « **لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع، فقيل: يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال: ومن الناس إلا أولئك؟**»[(١)]، وقال ﷺ: «**ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل..**»[(٢)] الحديث.

كما أن تلقي الفرق الضالة، المفارقة للسنة والجماعة عن الأمم والنحل والملل الأخرى حاصل بخبر الصادق المصدوق ﷺ بهذه النصوص القاطعة، كذلك هو معلوم بالاستقراء والتتبع، وبمقارنة العقائد والمقالات، فكثير من أصول الشيعة الرافضة امتداد لمقالات الفرس المجوس.

وأصول القدرية النفاة هي امتداد لمذاهب المجوس وبعض الصابئة وبعض فرق النصارى كذلك.

وأصول الجهمية امتداد لمذاهب الفلاسفة وغيرهم.

والمرجئة امتداد لمذاهب ومقالات كانت لبعض النصارى، والصابئة وبعض الديانات الهندية وغيرها.

والباطنية امتداد للزنادقة والملاحدة والفلاسفة في سائر الأمم الهالكة.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قوله ﷺ: « لتتبعن سنن من كان قبلكم» برقم (٧٣١٩).

(٢) الترمذي (١ / ٢٦)، والحاكم (١ / ١٢٨، ١٢٩).

والصوفية امتداد للديانات الهندية ولكثير من الديانات والمذاهب والفرق في الأمم الهالكة.

وهكذا كثير من الفرق نجد أنها إما أن تكون امتداداً مباشراً للديانات والفرق القائمة في الأمم الهالكة أو تأثرت بها وهذا أمر مستفيض عند كُتَّاب المقالات والباحثين وأصحاب هذه المذاهب نفسها، كيف لا وقد أخبر به النبي ﷺ، لكن أهل الأهواء يكابرون ولا يفقهون.

وكما ثبت بالنص والواقع المشهود والاستقراء الكامل أن أهل الأهواء والبدع والافتراق امتداد ـ كلياً أو جزئياً ـ للملل والنحل الباطلة، فكذلك ثبت بالنصوص القاطعة والواقع الملموس المشهود، والاستقراء الكامل: أنه كما أخبر النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة: « **لا تزال طائفة من هذه الأمة ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، ولا من عاداهم إلى قيام الساعة**»، وهم السلف الصالح أهل السنة والجماعة. كما وصفهم النبي ﷺ.

أخطاء وزلات بعض المنتسبين إلى أهل السنة والجماعة ليست من منهجهم

قد يحدث من بعض أهل السنة والمنتسبين إليهم من العلماء والعامة أخطاء وزلات عقدية وغيرها، وهذا من طبع البشر فليس معصوماً إلا الرسول ﷺ.

وهذه الأخطاء والزلات ليست محسوبة على المنهج الشرعي، منهج أهل السنة والجماعة، السلف الصالح.

وقد زعم بعض المفتونين من المعاصرين، أن أهل السنة والجماعة ـ السلف الصالح وقد يسميهم (الحنابلة) ـ يقوم منهجهم على أمور، هم على خلافها كالنصب والجبر والتكفير والغلو والتعصب، والاعتماد على الموضوعات والضعيف من المرويات، والأهواء، وعدم الفهم، وردود الأفعال، والاستعداء ضد المخالف، وإرهابه، ونحو ذلك مما زعمه بعض الموتورين وأهل الأهواء ـ قديماً وحديثاً ـ والمنصف يدرك بداهة أن هذا من الجهل أو التحامل والهوى.

فإن أفراد أهل السنة والجماعة (من عامة، وعلماء وولاة) قد يحدث من أحدهم أخطاء ومظالم وتجاوزات وبدع وزلات، وقد يكون ذلك عن هوى، أو اجتهاد خاطئ أو زلل، أوتأويل سائغ، أو غير سائغ من بعض من يحدث منهم ذلك.

لكن من المعلوم بالضرورة أنه ليس على ذلك منهجهم وعقيدتهم ، وليس كلهم على ذلك بل العكس، فهم لا يجيزون ذلك، ولا يقرون الخطأ والزلة ولا يتابعون المخطئ، ولا يقتدون به في زلته.

فالأصل عندهم الكتاب والسنة، (باعتماد الدليل ليس غير)، والأصل في أهل السنة: الحق والعدل والخيرية والاستقامة، وما يقع من أفرادهم من الخروج على الحق ينكرونه ولا يقرونه، وهو قليل نادر ـ بحمد الله ـ وهو على غير منهجهم.

وهذا بخلاف أهل الأهواء فإن مناهجهم تقوم على الابتداع والظلم والعدوان والهوى، وقد يحدث منهم أو من بعض أفرادهم ما يوافق الحق والدليل، لكن الحق الذي يصدر عن أهل الأهواء ـ غالباً ـ يكون ملتبساً بالباطل، ولا ينفردون به عن أهل السنة، بل يكون عند أهل السنة من الحق والهدى ما لا لبس فيه.

الاحتساب على البدع وأهلها واجب شرعي وليس ظلما

درج أهل الأهواء والبدع والافتراق على تسمية احتساب السلف الصالح على أهل الأهواء والبدع والافتراق والتحذير من بدعهم وحماية عقيدة الأمة منها:

ظلماً وعدواناً وحجراً، وكتماً للحريات، وإرهابَ المخالف، واستعداء عليه، وكان من أبرز هذه المزاعم: دعوى أن السلف الصالح أهل السنة ظلموا الفرق[١]، وأنهم بإنكارهم للبدع والمحدثات يفرقون المسلمين، وقد جهل هؤلاء أو تجاهلوا أنه قد ثبت في النصوص القاطعة أن هذه الأمة ـ كسائر الأمم السابقة ـ ستفترق، وأنه ستبقى طائفة واحدة من ثلاث وسبعين على الحق. كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[هود: ١١٨، ١١٩]، وقال ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**»[٢]، وحذر النبي ﷺ من البدع والمحدثات والأهواء والافتراق، وأخبر عن دعاة السبل وحذر منهم، ومن دعاة الضلالة، وأمر الله تعالى بالاعتصام بحبل الله، ونهى عن

---

(١) انظر مقدمات في الأهواء، للمؤلف (١٢٨ـ١٣٣).

(٢) أخرجاه في الصحيحين وسبق تخريجه.

التفرق فقال سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وأمر ﷺ بالجماعة والسنة، ونهى عن الفرقة والبدعة، وقد استجاب السلف الصالح ـ الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان ـ لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، وصدقوا خبره وأخذوا بوصيته، وقاموا بواجب النصيحة في نشر السنة والنهي عن البدعة والتحذير منها وحماية الأمة غوائلها واستجابوا لأمر النبي ﷺ بقوله: « **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[1].

فإن البدع أعظم المنكرات بعد الشرك، وجهود السلف في هذا الصدد مشهورة، ومن ذلك:

ـ لما حدثت الردة بعد موت رسول الله ﷺ قيض الله لها أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ فوقف وقفته الحازمة المشهورة التي كسر الله بها موجة الردة، وأعز الله بها الدين، وأيده على ذلك الصحابة ـ بإجماع ـ وناصروه.

ـ ولما ظهرت بعض بذور البدع في عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ: كالكلام في القدر، والاحتجاج على المعاصي ومتشابه الآيات، فأقام عمر معوجها بدرته المشهورة، فأدّب صبيغاً لخوضه

(١) رواه مسلم رقم (٤٩).

في الآيات المتشابهات[١]، وأدب الأمة كلها عندما هدد النصراني القدري - بطريريك الشام - حينما زعم أن الله لا يضل من يشاء، كما أدب عمر - رضي الله عنه - الأمة كلها كذلك بقطع شجرة الحديبية لقطع دابر البدع[٢] ونهى الذين كانوا يرتادون مواطن محددة للتعبد عندها مما لم يرد به الشرع[٣].

ونَهَرَ كعب الأحبار، وقال له: «لقد ضاهيت اليهودية» حينما أشار كعب أن يصلي عمر إلى الصخرة في بيت المقدس[٤].

- وأدب على - رضي الله عنه - الشيعة الغلاة، وحرقهم في النار حينما علم أنهم يغلون فيه ويقدسونه[٥]، وأمر بجلد المفترية من الشيعة الذين فضلوه على أبي بكر وعمر[٦].

- ولما ظهرت الخوارج قيض الله لها سائر الصحابة وعلى رأسهم عليّ - رضي الله عنه - وابن عباس - رضي الله عنهما - فأقاموا عليهم الحجة، وبينوا لهم المحجة حتى رجع منهم

---

(١) انظر سنن الدارمي (١ / ٥٥ - ٥٦)، الشريعة للآجري (٧٣).
(٢) انظر البدع والنهي عنها، ص (٤٢).
(٣) المرجع السابق.
(٤) انظر مسند أحمد (١ / ٣٨)، البداية والنهاية (٧ / ٥٨).
(٥) انظر منهاج السنة (١ / ١١).
(٦) المرجع السابق.

من كان يريد الحق، وأصر أهل الأهواء على بدعتهم. فقاتلهم الصحابة احتساباً وامتثالاً لأمر رسول الله ﷺ وقمعاً لبدعهم، وحذّروا منهم ومن مجالستهم.

- ولما ظهرت القدرية في النصف الثاني من القرن الأول تصدى لها متأخروا الصحابة كعبدالله بن عمر، وابن عباس، وجابر بن عبدالله، وواثلة بن الأسقع - رضي الله عنهم -، وكان من أشدهم على القدرية ابن عمر، الذي حذر منها وأنذر، وكشف عوارها، وحذر من معبد الجهني رأس القدرية وأصحابه، ونهى عن مجالستهم ومخالطتهم والتلقي عنهم، وكذلك ابن عباس وكذلك لما أعلن غيلان الدمشقي بدعة القول بالقدر تصدى لها التابعون وعلى رأسهم مجاهد، والخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز، وريحانة الشام الأوزاعي، لكنه أصر على بدعته حتى قتله هشام بن عبدالملك لبدعته، وقد زعم أهل الأهواء أن قتله كان سياسياً! وهذا ضرب من الحكم على القلوب والنوايا التي لا يعلمها إلا علام الغيوب سبحانه واتهام للنيات، والعدول عن الأمر البيّن المشهور الثابت عن الثقات إلى الظنون والأوهام والمشتبهات.

- ثم اعتزلت المعتزلة الأولى وعلى رأسهم واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، فتصدى لهم أئمة السنة أمثال:

الحسن البصري، وأيوب السختياني، وابن عون، وثابت البناني، وابن سيرين، وحماد بن زيد، ومالك بن أنس وأبي حنيفة، وابن المبارك، وهكذا كلما كثرت حشود البدعة تصدت لها جحافل السنة.

ـ ولما نبغت الرافضة قيض الله لها أمثال: الشعبي والشافعي وعبدالله ابن إدريس الأودي وغيرهم.

ـ ولما برز رأس الجهمية الجهم بن صفوان، تصدى له سائر أئمة السلف: كالزهري، ومالك، وأبي حنيفة، ثم عبدالله بن المبارك، وأمثالهم.

ـ ثم لما نبغ بشر المريسي ـ رأس الجهمية في زمانه ـ تصدى له أمثال عثمان بن سعيد الدارمي، والشافعي، والكناني.

ـ ولما احتشدت حشود الأهواء زمن المأمون وبعده من الجهمية والمعتزلة ومن سار على نهجهم، وعلى رأسهم ابن أبي دؤاد، تصدى لهم إمام السنة وقامع البدعة الإمام أحمد بن حنبل، فكسرهم كسرة لم ينهضوا بعدها إلا متعثرين بحمد الله.

ـ ولما تجمعت فلول الجهمية المعتزلة في آخر القرن الثالث، وصالت صولتها، قيض الله لها أبا الحسن الأشعري، وكان الخبير بعوارها، لأنه كان معتزليا فهداه الله للسنة، فحشر

المعتزلة في قمع السمسمة ـ كما قيل ـ وكسرهم، فانهزموا هزيمة منكرة.

ـ ولما نبغت نابغة الكلام وريثة الجهمية والمعتزلة، وبدأ أهل الكلام يخوضون في صفات الله تعالى والإيمان والقدر، تصدى لهم أئمة السلف في القرنين الرابع والخامس الهجريين: كالبربهاري، وابن خزيمة، وابن بطة، والهروي واللالكائي، وابن مندة، والملطي، والصابوني، والآجري وابن وضاح، والبغوي، وابن عبد البر، وأمثالهم.

ـ وفي القرون: السادس والسابع والثامن الهجرية، عمت البلوى بالبدع والأهواء والافتراق، وهيمنة الفرق في سائر البلاد الإسلامية، واستحكمت الصوفية ببدعها، وساد الكلام والفلسفة والباطنية والدجل، وتسلط الكفار على كثير من بلاد المسلمين في الشام وغيرها.

فقيض الله أمثال: الشاطبي، وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه (كابن القيم والذهبي وابن كثير وابن رجب) فتصدى شيخ الإسلام لجحافل البدع وعساكر الضلالة وجاهد في كل ميدان بلسانه وقلمه ويده، فقد تصدى لأهل الكلام، والفلاسفه، والباطنية، والصوفية، والرافضة واليهود، والنصارى، والصابئة.

كما كان مجاهداً بعلمه ولسانه وسيفه للكفار التتار والنصادى الصليبيين والبغاة، وكان يشجع المسلمين على الجهاد في كل ميدان، وله في ذلك إسهامات مشهورة مشهودة.

وكان ناصحاً لولاة المسلمين وأئمتهم، يذكرهم ويعظهم، ويحثهم على الجهاد ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر بحكمة وقوة، كما كان ناصحاً لعامة المسلمين وعلمائهم، وكان آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، هو وأتباعه يصدع بذلك، ولايخاف في الله لومة لائم، حتى أبان الله به السنة، ونصر الله به راية السلف، وكشف الله به أهل البدع وعقائدهم ومناهجهم، وحتى أقام الحجة، وأبان المحجة، ونصر الملة، ولا تزال آثاره ومؤلفاته مرجعاً لكل صاحب سنة، وقذى في عين كل صاحب بدعة، وفيها فرقان بين الحق وأهله، وبين الباطل وأهله، رحمه الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ـ وفي العصور المتأخرة: استحكمت البدع والشركيات، وانتشرت الطرق الصوفية والمقابرية والعادات الجاهلية حتى في جزيرة العرب. فتصدى لها ناصر السنة وقامع البدعة: الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه فطهر الله بدعوته المباركة أرض جزيرة العرب خاصة الحجاز ونجد وما حولها من البدع والشركيات والمقابرية والصوفية الضالة، كما نفع الله بدعوته

سائر أقطار المسلمين، حيث اعتزت بها السنة وأنصارها، وانتصرت السلفية، واحتمت وآوت إلي ركن شديد، حيث قامت لها وعليها دولة نشرتها وحمتها بالسيف والقلم وهي الدولة السعودية أعزها الله بالإسلام ونصر بها السنة وأهلها.

ولا نزال ـ بحمد الله ـ نرى ثمار هذه الدعوة في كل مكان، رغم تكالب جحافل البدعة، وما أجلبوه عليها بخيلهم ورجلهم: بالسب، والهمز، واللمز، وإعلان العداوة، وصد الناس بشتى الوسائل، والله غالب على أمره.

ولما نبغت نابغة (سب السلف) في القرن الماضي (الرابع عشر الهجري) على لسان الكوثرية، معلنة انتقاص بعض أئمة السلف، ورافعة راية الكلام والتجهم، واتهام السلف وأتباعهم، ورميهم بالألقاب المشينة والألفاظ المقذعة مثل: (الحشوية، والمشبهة، والحمقى، والجهلة، والأوباش والرعاع) قيض الله لهم أمثال: المعلمي، والألباني، وبكر أبو زيد، وسائر مشايخنا حفظهم الله.

ـ ولما أخرجت البدع أعناقها في البلاد الطاهرة على يد أحد المنتسبين للعلوية وأتباعهم، تصدى لها طائفة من المشايخ وطلاب العلم وفقنا الله وإياهم، ولا يزال مشايخنا لهم جهود مشكورة في هذا المضمار، وفقهم الله وسدد خطاهم، والآن

وقد بدأ (نبَّاشة القبور) يثيرون المشتبهات ويشككون أبناء المسلمين بالمسلَّمات، وينهشون علماء السلف، وينبِّشون في كتبهم عن الزلات، ويطعنون في سلف الأمة ويبكون على أطلال الفرق والبدع، ويمجدون رؤوس الضلالة والأهواء، ويرددون مطاعن الزنادقة في خيار الأمة، وإنّا لمنتظرون ـ تحقيقاً لوعد الله بحفظ دينه ـ مَنْ يتصدى لهذه النابتة الخبيثة كفانا الله شرها. ولا حول ولا قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ومما ينبغي التنبه له، أن أهل الأهواء ـ قديماً وحديثاً ـ يضيقون ذرعاً بإنكار البدع والتصدي للمبتدعة، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويجعلون ذلك ـ حسب موازينهم التي تقوم على الأهواء ـ من الظلم والشتم والسب، والحجر، وكتم الحريات، والاستعداء ضد الخصوم، والتضييق على المخالفين.

ويتهمون السلف الذين ينهون عن البدع والآثام ويحذرون منها ومن أهلها: بالتكفير والتبديع والتفسيق ونحو ذلك، وكل ذلك من التلبيس والبهتان، فإن هذه أحكام شرعية يطلقها المجتهدون من العلماء الثقات على من يستحقها شرعاً، حسب اجتهادهم، وقد يخطئ الواحد منهم، لكن ليس ذلك من منهجهم.

ولذلك فإن أهل الأهواء يتهمون السلف بالسب والشتم واللعن ونحو ذلك من هذا المنطلق، أعني أنهم يسمون إطلاق الأحكام الشرعية من الكفر والبدعة والفسق ونحوها على من يستحقها شرعاً: شتماً ولعناً وسباً وهذا هو منهج أعداء الرسل في كل زمان.

مع العلم أن السب للكفر والشرك والبدع والأهواء والفسوق مشروع ومطلوب شرعاً بالضوابط الشرعية. وقد جاء ذلك في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فالنبي ﷺ كما كان يأمر بالتوحيد، كان كذلك ينهى عن الشرك ويذم عبادة الأصنام والأوثان، وقد وصفه المشركون بأنه ﷺ حين ينهى عن الشرك (يسبُّ آلهتهم) وهو سبٌّ مشروع ومن دعائم الدين الكبرى في كل زمان.

دولة بني أمية كانت على السنة في الجملة

دولة بني أمية، تمثل حيزاً زمنياً كبيراً من صدر الإسلام والقرون الفاضلة التي زكاها النبي ﷺ في قوله: «**خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم..**» الحديث[١]. فهم داخلون في ذلك في الجملة.

فإن دولة بني أمية بدأت من عهد معاوية ـ رضي الله عنه ـ الصحابي الجليل، وهو من الخلفاء الصالحين والملوك العادلين، وله اجتهادات قد يخالفه عليها بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أجمعين.

وهكذا سائر خلفاء بني أمية، أقاموا الدين، وجاهدوا ونصروا السنة، وقمعوا البدعة وأهلها، وفي بعضهم انحراف عن الحق، ووقوع في شيء مما أخبر عنه النبي ﷺ من الظلم والأثرة وبعضهم أخطأ في حق علي ـ رضي الله عنه ـ وبعض ذريته فمالوا إلى النصب ربما سياسة وهوى لا تديناً (والله أعلم) ولا شك أنه خطأ على أي حال[٢]، وكذلك اشتهر بعض ولاة بني أمية بتأخير الصلاة عن وقتها[٣].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٦٥٠) ومسلم رقم (٢٥٣٣).
(٢) (٣) انظر منهاج السنة: ٨/ ٢٣٩.

وهذه زلات لا تلغي اعتبارهم، ولا تمحو فضائلهم وجهودهم المحمودة وجهادهم المشهود، ولا تمنع كونهم على السنة ومن أنصارها، فهم بشر كسائر البشر.

قال شيخ الإسلام في منهاج السنة:

«وبنوا أمية كانوا عثمانية»، فكان الإسلام وشرائعه في زمنهم أظهر وأوسع مما كان بعدهم.

وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة أن النبي ﷺ قال: «**لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش**».

ولفظ البخاري: «**اثني عشر أميراً**». وفي لفظ: «**لا يزال أمر الناس ماضياً ولهم اثنا عشر رجلاً**». وفي لفظ: «**لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش**».

وهكذا كان، فكان الخلفاء: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، ثم تولى من اجتمع الناس عليه وصار له عزّ ومنعة: معاوية، وابنه يزيد، ثم عبدالملك وأولاده الأربعة، وبينهم عمر ابن عبدالعزيز. وبعد ذلك حصل في دولة الإسلام من النقص ما هو باق إلى الآن؛ فإن بني أمية تولوا على جميع أرض الإسلام، وكانت الدولة في زمنهم عزيزة، والخليفة يُدعى باسمه: عبدالملك، وسليمان، لا يعرفون عضدالدولة،

ولا عزّالدين وبهاء الدين، وفلان الدين وكان أحدهم هو الذي يصلّي بالناس الصلوات الخمس، وفي المسجد يعقد الرايات، ويؤمّر الأمراء، وإنما يسكن داره، لا يسكنون الحصون، ولا يحتجبون عن الرعية».

وقد تحامل أهل الأهواء والبدع من الشيعة والخوارج والقدرية والجهمية والمعتزلة ونحوهم على بني أمية وأشهروا أخطاءهم وأغمضوا عن حسناتهم، لأنهم كانوا(أعني بني أمية) يقفون ضد تيارات البدع والأهواء ودعاتها بقوة وحزم وهذا مما أغاظ المبتدعة وأهل الأهواء وأشياعهم، وأوغر صدورهم على بني أمية وعلى السلف الصالح الذين لا يؤيدون الظلم، لكنهم شكروا لبني أمية صنيعهم في نصرة السنة، وقمع البدعة وأهلها، وهم الذين نشروا الإسلام وواصلوا الجهاد وفتحوا الفتوح.

كما أن هذا لا يعني أن السلف سكتوا عما كان يحدث من بعض ولاة بني أمية من المظالم والفسوق والأثرة، بل كانوا ينكرون عليهم ويناصحونهم ولم يقروهم على ظلم ولا على باطل وهذا هو المنهج الحق.

حرص السلف على جمع كلمة الأمة على ولاتهم - وإن جاروا - ليس رضى بالظلم والفسوق والأثرة، ولا إقراراً بذلك؛ بل امتثالاً لأمر الله ورسوله ﷺ بلزوم الطاعة والجماعة في

المنشط والمكره، ونبذ الفرقة والخروج، وهذا أصل عظيم من أصول السنة، ومسلّمة ضرورية من مسلّمات الدِّين، تقوم عليها مصالح للأمة، وتدرأ بها مفاسد كبرى معلومة من الدين بالضرورة.

أما ما يكون من بعض الجاهلين، أو المتأولين من الولاة والعلماء وغيرهم ممن ينتسبون للسلف، مما هو خلاف ذلك، فهو اجتهاد شخصي غير محسوب على منهج السلف، لأنه مخالف لصريح السنة.

obeikandl.com

التحامل على السلف وكتبهم ومنهجهم

من منهج أهل الأهواء التحامل على كتب السلف والتشكيك في منهجهم والطعن في علمهم، ونجد هذا المنحى واضحاً عند بعض المعاصرين من أهل الأهواء، حين جعل كتب السلف مثل كتب أهل الافتراق والبدع والأهواء حين قال:

(وكتب العقائد رغم ما فيها من حق قليل إلا أن فيها الكثير من الباطل، بل هو الغالب عليها لما فيها من الأحاديث المكذوبة على النبي ﷺ، والإسرائيليات المشككة للمسلم والتكفير للمسلمين، وزرع بذور الشقاق والتباغض والتنازع بين المسلمين، وغير ذلك من الهوى والظلم والجهل، سواء كان ذلك في كتب العقائد عند الشيعة أو السنة أو الإباضية أو الصوفية أوغيرهم، ولم ينج من كثير من ذلك إلا بعض كتب المجتهدين في الماضي أو الحاضر، وهي قلة نسبة إلى هذه الكثرة)[1].

وهذا من التلبيس والظلم والافتراء على السلف، فإن كل ما قاله الكاتب من هذه المطاعن يصدق على كتب عقائد القوم (المبتدعة) في الجملة لا على كتب السنة وأهلها فكتب عقائد السلف تقوم على الحق والدليل، والعدل والإنصاف، والعلم،

(١) قراءة في كتب العقائد ص ٢٨ .

والهدى والسنة، وما يخرج عن ذلك قليل من الزلات والأخطاء والتجاوزات التي قد تكون في ثنايا كتب العقائد المعتمدة عند السلف، وهي كتب الصحاح والسنن والآثار والمصنفات الكبرى لأئمة السنة، وهى أمور معلومة عند أهل العلم الراسخين، فإن كتب السلف الحق فيها هو الأصل والأكثر، وخلاف ذلك - بحمد الله - قليل بل نادر، والنادر لا حكم له.

أما ما أشار إليه الكاتب من التكفير ونحوه فهذا من خصال أهل البدع، أما أهل السنة فلا يكفرون إلا بدليل وقد أجبت عن هذه الشبهة في مقام آخر من هذا الكتاب.

وكذلك اتهامه لكتب أهل السنة بأن فيها أحاديث مكذوبة، فهذا هو الكذب والبهتان، فإن كتب السلف تعتمد على الصحيح، إلا النادر مما هو اجتهاد خاطئ عند البعض، وقد أجبت عن هذا الزعم في مقام آخر.

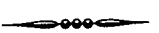

دعوى وجود الاستطرادات في كتب السلف

زعموا أن كتب العقائد فيها الكثير من الحشو والاستطرادات، وأن فيها أحاديث مكذوبة على النبي ﷺ.

نعم إن هذا الوصف يصدق على أكثر كتب عقائد الفرق المخالفين للسنة، وأهل الأهواء، أما كتب السلف فهي تقرر الحق، والحق فيها هو الأصل والغالب والكثير، وما قد يوجد في بعضها من استطرادات وآراء خاطئة لبعض العلماء فليس ذلك من أصول العقيدة، إنما هو من المسائل الفرعية الملحقة بموضوعات العقيدة للمناسبة، وهذا قليل وليس في الأصول.

وليس في عقيدة السلف ما ليس عليه دليل من القرآن والسنة، وما قد يوجد أحياناً من الأحاديث الضعيفة أو الحكايات والإسرائيليات أوالمنامات ونحوها فإنما أورده بعض العلماء للاعتضاد والاستئناس لا للاعتماد، وعلى اعتبار أنه يحتمل الصحة، وليس هو الدليل.

كما أنه لا يلزم من رواية بعض الأحاديث الضعيفة أو المشتملة على ما ينافي العقيدة اعتقاد ما جاء فيها، ولا اعتقاد صحتها.

من مفتريات أهل البدع والأهواء والافتراق على السلف وكشف مصطلحاتهم في ذلك

قبل أن أشرع في ذكر بعض مفتريات أهل الأهواء على السنة وأهلها والسلف الصالح، يحسن أن أنبه إلى الأمور التالية:

الأمر الأول: أن السلف كما هو معلوم، وكما أسلفت بشر يقع الخطأ والزلل من أفرادهم، أما جملتهم فتتحقق فيهم وفي منهجهم وعقيدتهم وديانتهم العصمة الثابتة للأمة عن النبي ﷺ بقوله ﷺ: « **لا تجمع أمتي على ضلالة**»[1] وكذلك لزوم الحق وإظهاره في قوله: « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**»[2]. فأهل السنة هم هذه الطائفة قطعاً لأنهم هم الذين على الحق.

الأمر الثاني: أنه ينطبق على أهل الأهواء (خصوم السلف والسنة) المثل: (رمتني بدائها وانسلت).

فكل ما قاله هؤلاء الخصوم أهل الأهواء في أهل السنة والجماعة وأقوالهم ومناهجهم هو في أهل الأهواء هو الأصل.

---

(١) أحمد (٢٥٩٦٦) والترمذي (٢٠٩٣)، وابن ماجة (٣٩٤٠)، والدارمي (٥٤).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين**» (١٣ / ٦٥، صحيح مسلم مع شرح النووي).

فالتزام الحق والسنة هو الأصل والقاعدة عند أهل السنة والجماعة السلف الصالح، وما يخالفه مما يقع فيه بعض أفرادهم وفئاتهم فهو استثناء، وخروج عن الأصل والقاعدة، فهم بشر ليس لأفرادهم عصمة.

والعكس كذلك فإن المفارقة والبدعة والهوى، هي الأصل والقاعدة في الفرق المفارقة للسنة والجماعة، وفي أهل الأهواء بأفرادهم وفرقهم، وما يوافقون فيه الحق والسنة استثناء عن الأصل وعن القاعدة، فأهل السنة والجماعة والسلف الصالح هم أهل الحق والسنة تعرف بهم ويعرفون بها.

الأمر الثالث: أن أهل الأهواء هم أهل الفرقة والبدعة تعرف بهم ويعرفون بها.

وأن كل ما رمى به أهل الأهواء أهل السنة من الأخطاء والعيوب، فهو في أهل الأهواء والافتراق أكثر، وهم الأصل فيه فالله تعالى يقول: ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ [**القلم**: ٣٥، ٣٦]ويقول: ﴿**أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ**﴾[**السجدة**:١٨] .

الأمر الرابع: أن كثيراً مما يعيب به أهل الأهواء على أهل السنة، ويعيرونهم به هو مما يمدح؛ لأنه ـ أصلاً ـ هو الحق لكن

أهل الأهواء يُلَبِّسُون على الناس ويقلبون الحقائق؛ لأن أصولهم منكوسة، وسأذكر أمثلة لذلك بعد قليل.

الأمر الخامس: أن أهل الأهواء أصحاب فتنة كما وصفهم الله: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾ [**آل عمران**: ٧].

وهذا منهج عام لدى عامة أهل الأهواء، يعتقدون الباطل ثم يلتمسون له الأدلة على غير الوجه الشرعي في الاستدلال، ويثيرون الشبهات والإشكالات حول النصوص (القرآن والسنة).

ثم يمتد منهجهم هذا إلى عموم نصوص الشرع، وقواعد الدين ومناهج الحق، وأصول السنة وأقوال الأئمة والعلماء الراسخين، وأتباعهم المهتدين.

لذا نجدهم ـ أعني أهل الأهواء ـ يقفون عند شواذ المواقف والأقوال والآراء لبعض المنتسبين للسلف من العلماء وغير العلماء، فيجعلونها أصولاً ويرمون بها السلف بعامة، ويقدحون في عقيدتهم ومنهجهم اعتماداً على هذه الزلات والأخطاء، وقد تكون صواباً في ميزان الحق، لكنهم ـ أعني أهل الأهواء ـ يعدونها خطأ على مناهجهم الباطلة.

وهذا ما سأذكر نماذج منه في المبحث التالي:

الوقيعَة في السلف من أصول أهل الأهواء وسماتهم

من مفتريات أهل الأهواء والبدع والافتراق على السلف[١]:

لمز السلف (أهل الحديث والسنة) وتعييرهم وسبهم وبغضهم (أو بعضهم) ورميهم بالألقاب المشينة، وإظهار ما يدل على بغضهم لهم، ومجانبتهم لهم ولسبيلهم سبيل المؤمنين، فكل طائفة من أهل البدع تلقب أهل السنة بباطل[٢].

ـ فالرافضة تسمي أهل السنة النواصب؛ لأنهم لا يغلون في آل البيت، كما تفعل الرافضة، كما سيأتي، ويعيرونهم بالجمهور لأنهم أكثرية في وقت ظهور الرفض، ولأن الرافضة ينظرون إلى أهل السنة نظرة الدونية والازدراء.

ـ والقدرية تسمي أهل السنة (مجبرة)؛ لأنهم يثبتون القدر ـ خيره وشره من الله تعالى ـ ويقولون بعموم علم الله تعالى وقدره ومشيئته، وأهل الأهواء يسمون إثبات القدر (جبراً).

ـ والمرجئة تسميهم (شُكاكاً)، ومخالفة ونقصانية؛ لأنهم ـ أعني السلف ـ يستثنون في الإيمان يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه، وأهل الأهواء يسمون ذلك (شكاً ونقصاً).

---

(١) انظر: مناهج أهل الأهواء، للمؤلف، ص (١٠٠ ـ ١٩٠) وغيرها.
(٢) انظر: عقيدة السلف، ص (١٠٥)، واللالكائي (١ / ١٧٩)، والفتاوى (٢٨ / ٤٧٧)، وصون المنطق (١٤٧).

- والجهمية والمعتزلة وأهل الكلام تسميهم (مشبهة)؛ لأن السلف يثبتون الأسماء والصفات كما وردت مع اعتقاد أن الله ليس كمثله شيء، وأهل الأهواء يزعمون أن إثبات الصفات كما جاءت في النصوص (تشبيهاً وتجسيماً).

- والمعتزلة وأهل الكلام يسمون أهل السنة (حشوية، ونوابت وغثاء وغثراً) وزوامل أسفار؛ لأنهم أهل حديث وآثار رواية ودراية، ويقفون عند ما صح من النصوص.

هكذا يعيرون السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) بالحق، ويصورونه بصورة الباطل، بينما أهل السنة لا يلحقهم إلا اسم واحد هو: (السنة والجماعة)، ويستحيل أن تجتمع فيهم هذه الصفات والأسماء المتعارضة فتأمل - عافاك الله - فإن من علامات أهل الأهواء والبدع والافتراق الوقيعة في السلف الصالح أهل السنة والجماعة.

روى الإمام الصابوني بسنده في (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) عن أبي حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي، يقول: (علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر حشوية، يريدون بذلك إبطال الأثر، وعلامة القدرية تسميتهم أهل السنة مجبرة وعلامة الجهمية تسميتهم

أهل السنة مشبهة؛ وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر نابتة وناصبة)[١].

وروى اللالكائي نحو ذلك، قال: [قال أبو محمد وسمعت أبي يقول:

* وعلامة أهل البدع: الوقيعة في أهل الأثر.
* وعلامة الزنادقة: تسميتهم أهل السنة حشوية يريدون إبطال الآثار.
* وعلامة الجهمية: تسميتهم أهل السنة مشبهة.
* وعلامة القدرية: تسميتهم أهل الأثر مجبرة.
* وعلامة المرجئة: تسميتهم أهل السنة مخالفة ونقصانية.
* وعلامة الرافضة: تسميتهم أهل السنة ناصبة.

ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء][٢].

وقال شيخ الإسلام في معرض تقريره لمذهب السلف في كلام الله تعالى ورده على المخالفين: (ولكن الذين في قلوبهم زيغ من أهل الأهواء لا يفهمون من كلام الله وكلام رسوله وكلام السابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان في «باب صفات الله»

(١) عقيدة السلف (١٠٥).
(٢) اللالكائي (١ / ١٧٩).

إلا المعاني التي تليق بالخلق؛ لا بالخالق ثم يريدون تحريف الكلم عن مواضعه في كلام الله وكلام رسوله إذا وجدوا ذلك فيها، وإن وجدوه في كلام التابعين للسلف افتروا الكذب عليهم، ونقلوا عنهم بحسب الفهم الباطل الذي فهموه، أو زادوا عليهم في الألفاظ، وغيروها قدراً ووصفاً، كما نسمع من ألسنتهم، ونرى في كتبهم.

ثم بعض من يحسن الظن بهؤلاء النقلة قد يحكي هذا المذهب عمن حكوه عنهم، ويذم ويبحث مع من لا وجود له، وذمه واقع على موصوف غير موجود، نظير ما صرف الله عن رسوله ﷺ حيث قال: «**ألا تعجبون من قريش يشتمون مذمما، وأنا محمد؟!**».

وهذا نظير ما تحكي الرافضة عن أهل السنة من أهل الحديث والفقه والعبادة والمعرفة أنهم (ناصبة)، وتحكي القدرية عنهم أنهم (مجبرة)، وتحكي الجهمية عنهم أنهم (مشبهة)، ويحكي من خالف الحديث ونابذ أهله عنهم: أنهم (نابتة، وحشوية، وغثاء، وغثراً)، إلى غير ذلك من الأسماء المكذوبة، ومن تأمل كتب المتكلمين الذين يخالفون هذا القول وجدهم لا يبحثون في الغالب أو في الجميع إلا مع هذا القول الذي ما علمنا لقائله وجوداً[1].

(١) الفتاوي (٣٣/ ١٧٠ ـ ١٧١).

ويقول البربهاري: «وإذا سمعت رجلاً يقول فلان ناصبي فاعلم أنه رافضي، وإذا سمعت الرجل يقول فلان مشبه أو فلان يتكلم بالتشبيه فاعلم أنه جهمي، وإذا سمعت الرجل يقول تكلم بالتوحيد واشرح لي التوحيد [١] فاعلم أنه خارجي معتزلي، أو يقول فلان مجبر أو يتكلم بالإجبار، أو تكلم بالعدل فاعلم أنه قدري؛ لأن هذه الأسماء محدثة أحدثها أهل البدع»[٢].

أما كلمة (الحشوية):

فإن أول من عرف أنه تكلم بهذه العبارة عمرو بن عبيد ـ المعتزلي المتكلم ـ حين ذكر له عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ ما يخالف مقولته، فقال: (كان ابن عمر حشوياً)[٣] نسبة إلى حشو الناس وهم العامة والجمهور.

وأخرج الذهبي في سير أعلام النبلاء: «لما استأذن ابن أبي داود على الجاحظ، قال: من أنت؟، قال: رجل من أصحاب الحديث، فقال: أو ما علمت أني لا أقول بالحشوية»[٤].

---

(١) المعتزلة وبعض أهل الكلام يقصدون بالتوحيد: نفي صفات الله تعالى وتأويلها.
(٢) شرح السنة للبربهاري (٥٢).
(٣) انظر منهاج السنة (٢ / ٥٢٠)، درء التعارض (٧ / ٣٥١)، والفتاوى (١٢ / ١٧٦)، وبيان تلبيس الجهمية (١ / ١٥٥) رشيد حسن.
(٤) سير أعلام النبلاء (١١ / ٥٣٠).

والجاحظ متكلم معتزلي يزعم أن أهل الحديث والأثر (حشوية).

والحق أن أهل الأهواء لا سيما منهم أهل الكلام أحق بوصف الحشوية؛ لأن من منهجهم المراء والجدال والخصومات وإكثارهم من الكلام وحشو العبارات، لذا فهم أحق باسم الحشوية، فإن سائر كلامهم حشو لا فائدة فيه، وكذلك مصنفاتهم ومناظراتهم يحشونها بالكلام الفارغ والظنون والأوهام.

أما الأحاديث والآثار فهي ـ والله ـ الزبدة والثمرة والخلاصة واللّب كما قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾[الرعد: ١٧] لكنهم قوم يعدلون عن الحق.

فالسمة العامة لأهل الأهواء كراهية أهل الحديث، وهم أهل السنة والجماعة السلف الصالح.

قال الذهبي في ترجمة أحمد بن سنان: (قال جعفر: سمعت أبي أحمد بن سنان يقول: ليس في الدنيا مبتدع إلا ويبغض أصحاب الحديث، وإذا ابتدع الرجل بدعة نزع حلاوة الحديث من قلبه)[1].

(١) تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٢١).

قال الأوزاعي: (ما ابتدع رجل إلا غل صدره على المسلمين)[١]. وقال: (كنا نتحدث أنه ما ابتدع أحد بدعة إلا سلب ورعه)[٢].

وقال الشاطبي بعد ذكر الخوارج مبيناً أن الابتدع يوجب الافتراق والعداوة عند المبتدعة: (ثم يليهم كل من ابتدع بدعة فإن من شأنهم أن يثبطوا الناس عن اتباع الشريعة ويذمونهم ويزعمون أنهم الأرجاس الأنجاس المكبين على الدنيا، ويضعون عليهم شواهد الآيات في ذم الدنيا وذم المكبين عليها. كما يروى عن عمرو بن عبيد أنه قال: لو شهد عندي علي وعثمان وطلحة والزبير على شراك نعل ما أجزت شهادتهم.. هكذا!.. نعوذ بالله من الخذلان.

وعن معاذ بن معاذ قال: قلت لعمرو بن عبيد: كيف حدَّث الحسن عن عثمان أنه ورث امرأة عبد الرحمن بعد انقضاء عدتها؟ فقال: إن فعل عثمان لم يكن سنة.

وقيل له: كيف حدث الحسن عن سمرة في السكتتين؟ فقال: ما تصنع بسمرة! قبح الله سمرة. أ هـ)[٣].

---

(١) تاريخ الإسلام (١٤١ ـ ١٦٠ / ٤٩٢).
(٢) المرجع السابق.
(٣) الاعتصام (١ / ١١٩ ـ ١٢٠).

قلت: بل قبح الله عمرو بن عبيد المعتزلي وأمثاله وأشياعه، فهم أحق بها من ذلكم الصحابي الجليل.

وقال الشاطبي: (وسئل عمرو بن عبيد يوماً عن شيء فأجاب فيه. قال الراوي: قلت ليس هكذا يقول أصحابنا قال: ومن أصحابك لا أبا لك؟، قلت: أيوب، ويونس وابن عون، والتيمي، قال: أولئك أنجاس أرجاس، أموات غير أحياء.

فهكذا أهل الضلال يسبون السلف الصالح لعل بضاعتهم تنفق ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [التوبة: ٣٢].

وأصل هذا الفساد من قبل الخوارج فهم أول من لعن السلف الصالح وكفَّر الصحابة ـ رضي الله عن الصحابة ـ)[1].

وقال الشاطبي أيضاً مبيناً أن من علامات أهل الأهواء ذم من مدحهم الله، ومدح من ذمهم الله: (وأصل هذه العلامة في الاعتبار تكفير الخوارج ـ لعنهم الله ـ الصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم ـ، فإنهم ذموا من مدحه الله ورسوله واتفق السلف الصالح على مدحهم والثناء عليهم، ومدحوا من اتفق السلف الصالح على ذمه، كعبدالرحمن بن ملجم قاتل علي ـ رضي الله عنه ـ وصوبوا قتله إياه، وقالوا: إن في شأنه نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]

(١) المرجع السابق.

وأما التي قبلها وهي قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[البقرة: ٢٠٤] الآية، فإنها نزلت في شأن علي ـ رضي الله عنه ـ وكذبوا ـ قاتلهم الله ـ.

وقال عمران بن حطان في مدحه لابن ملجم:

يا ضـــربة من تقي ما أراد بهـا إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إنـي لأذكـره يوماً فأحســبه أوفى البريـة عند اللـه ميـزانا

وكذب ـ لعنه الله ـ فإذا رأيت من يجري على هذا الطريق، فهو من الفرق المخالفة، وبالله التوفيق.

وروي عن إسماعيل بن علية، قال: حدثني اليسع قال: تكلم واصل بن عطاء يوماً ـ يعني المعتزلي ـ فقال عمرو بن عبيد: ألا تسمعون؟ ما كلام الحسن وابن سيرين ـ عندما تسمعون ـ إلا خرقة حيض ملقاة.

وروي أن زعيماً من زعماء أهل البدعة كان يريد تفضيل الكلام على الفقه، فكان يقول: إن علم الشافعي وأبي حنيفة، جملته لا يخرج من سراويل امرأة فذا كلام هؤلاء الزائغين، قاتلهم الله)[1].

(١) الاعتصام (٢ / ٢٣٨ ـ ٢٣٩).

قلت: وهذه السمة لا تزال في بعض أهل الأهواء، وبعض المثقفين والمتعالمين، حيث يعيرون المشايخ وطلاب العلم بفقه الحيض والنفاس، وما علموا أن ذلك من دين الله، وأنهم بذلك يستهزئون بأحكام الله، نعود بالله من الخذلان.

وروى الصابوني بسنده عن الحاكم قال: (سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد الحنظلي ببغداد، يقول: سمعت (أبا إسماعيل) محمد بن إسماعيل الترمذي يقول: كنت أنا وأحمد ابن الحسن الترمذي عند إمام الدين أبي عبد الله أحمد بن حنبل فقال له أحمد بن الحسن: يا أبا عبد الله، ذكروا لابن قتيله بمكة أصحاب الحديث، فقال: (أصحاب الحديث قوم سوء)، فقام أحمد بن حنبل وهو ينفض ثوبه وهو يقول: زنديق زنديق زنديق حتى دخل البيت)[1].

وقال الصابوني أيضاً: (وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة، أظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ، واحتقارهم لهم، واستخفافهم بهم، وتسميتهم إياهم (حشوية وجهلة وظاهرية ومشبهة) اعتقاداً منهم في أخبار رسول الله ﷺ أنها بمعزل عن العلم، وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة، ووساوس صدورهم المظلمة،

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (١٠٣).

وهواجس قلوبهم الخالية من الخير، وكلماتهم وحججهم العاطلة، بل شبههم الداحضة الباطلة، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٣]، ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨][(١)].

وروى مسلم في صحيحه عن حماد بن زيد، قال: كان رجل لزم أيوب وسمع منه ففقده أيوب، فقالوا: يا أبا بكر إنه قد لزم عمرو بن عبيد، قال حماد: فبينما أنا يوماً مع أيوب وقد بكرنا إلى السوق، فاستقبله الرجل فسلم عليه أيوب وسأله، ثم قال له أيوب: بلغني أنك لزمت ذلك الرجل قال حماد: سماه يعني عَمْراً، قال: نعم يا أبا بكر إنه يجيئنا بأشياء غرائب، قال: يقول له أيوب: إنما نَفِرُّ أو نَفْرَق من تلك الغرائب[(٢)].

كما أن حب أهل السنة من علامات الاستقامة، فكذلك بغضهم من علامات أهل الأهواء والبدع.

أخرج اللالكائي عن أحمد بن عبدالله بن يونس يقول: (امتحن أهل الموصل بمعافى بن عمران فإن أحبوه فهم أهل سنة، وإن أبغضوه فهم أهل بدعة، كما يمتحن أهل الكوفة (بيحيى).

وعن قتيبة يقول: إذا رأيت الرجل يحب أهل الحديث مثل

(١) المرجع السابق (١٠١ - ١٠٢).
(٢) صحيح مسلم - المقدمة - ص ٢٣.

يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي وأحمد بن محمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه - وذكر قوماً آخرين - فإنه على السنة، ومن خالف هؤلاء فاعلم أنه مبتدع)[١].

كما أن من منهج أهل السنة تكفير الكافر، وتبديع المبتدع بالحق والدين، فكذلك من سمات كثير من أهل الأهواء وأصولهم الباطلة: تضليل أهل السنة وتكفيرهم بالهوى وبالباطل وبلا دليل، قال الذهبي: (قال ابن أبي دؤاد للمعتصم في الإمام أحمد حين المناظرة على القرآن: (يا أمير المؤمنين هو والله ضال مضل مبتدع)[٢].

وابن أبي دؤاد من رؤوس البدعة والضلالة، ومن مشعلي الفتنة على أهل السنة، قال ابن أبي دؤاد للمعتصم حينما قال: (لقد ارتكبت إثماً في أمر هذا الرجل - يعني أحمد بن حنبل -، فقال: يا أمير المؤمنين إنه والله كافر مشرك قد أشرك من غير وجه)[٣]. ومن يعني بكافر مشرك؟!

يعني: أحمد بن حنبل الذي أجمعت الأمة بكل طوائفها على إمامته وفضله وسلامة منهجه.

---

(١) اللالكائي (١ / ٦٦)، الأثران (٥٨ - ٥٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (١١ / ٢٤٦).
(٣) سير أعلام النبلاء (١١ / ٢٥٣).

ـ ولذلك نجد أهل الأهواء يعيرون أهل السنة بالحنابلة فإنه لما امتحن المأمون الناس ليقولوا بخلق القرآن صمد اثنان: أحمد بن حنبل ومحمدبن نوح، فالثاني لقي ربه والأول أشهر السنة رغم ضربه وسجنه، فكان أن نصر الله السنة بهذا الموقف.

والإمام أحمد إمام السنة في سائر أمور الدين، وكان موقفه سبباً في نصر أهل السنة وإعلائهم وتمسكهم، الخاصة منهم والعامة، وتعلق قلوب الناس بالإمام أحمد وبالسنة التي هي شعاره، ومن هنا تميز أهل الأهواء بخلاف ذلك فصاروا يلمزون أهل السنة ويصفونهم بالحنابلة.

والإمام أحمد ـ كذلك ـ مع ما تعرض له من أذى كبير من ابن أبي دؤاد رأس الضلالة وداعية البدع الكفرية وأمثاله: فإنه ـ أعني الإمام أحمد ـ لم يصدر عنه مثل هذا الحكم (الكفر والشرك) في أعيان هؤلاء.

لكن كما قال المثل: (رمتني بدائها وانسلت).